العرب
الخميس 2021/11/18
السنة 44 العدد 12244

مازن الرفاعي يتخطى القلب وينصّب العقل سيدا في «أعمال جديدة»

الفنان اللبناني يواصل احتفاءه بمدينته بعلبك متخليا عن أخضره الصوفي

انتقال موفّق من الصوفية إلى التركيبية الإنشائية المختزلة

تعرية للأشكال من أي إسقاطات عاطفية وشعورية

تواصل صالة "أجيال" البيروتية حتى الرابع من ديسمبر القادم الاحتفاء بالمنجز الفني الأخير للفنان اللبناني مازن الرفاعي، وذلك من خلال معرض يضمّ عشرين لوحة فنية مختلفة أحجامها ومشغولة بمادة الأكريليك، جاءت تحت عنوان "أعمال جديدة".

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

تحت عنوان "أعمال جديدة" تعرض صالة "أجيال" البيروتية عشرون لوحة مشغولة بمادة الأكريليك للفنان التشكيلي اللبناني مازن الرفاعي.

معرض يعثر فيه المشاهد على عدم ارتواء الفنان من اختبار اللاالمواد التلوينية المختلفة ولا الأساليب الفنية المعتمدة كي يتناول فيه موضوعه الوحيد: مدينته الخضراء/ البقاعية، بعلبك.

وكان الفنان قد نجح في كل مرة أقام فيها معرضا في تقديم نص فني ناضج يعبرّ عن قدرته في تطويع المشاهد الطبيعية، وهندسة بيوت بعلبك والقيام بتفكيكها وإعادة تركيبها وفق مخياله الفني الجماليّ وحبّه الذي لا ينضب تجاه مدينته.

> الرفاعي يدخل في لوحاته الجديدة عالم «الأستتيك» من بابه العريض، مبعثرا ماهية ما يُرسم تحت سلطة كيفية ما يرسم

أما بالنسبة للمواد التلوينية فقد استخدم لسنوات عديدة الألوان المائية كما استخدم الفحم أيضا، ثم دخل إلى عالم الألوان الزيتية ليخرج منها، ويدخل إلى عالم ألوان الأكريليك دون أن يغادر كليا ما اختبره سابقا من مواد.

بين مرحلتين

المُتتبع لمسيرة الفنان اللبناني مازن رفاعي يمكن أن يرصد التحوّل في نصه الفني حتى بلوغه اليوم مرحلة قد لا يستسيغها البعض، لأنها تعلن انتقال الفنان من مرحلة التعبير الفني إلى مرحلة التشكيل الفني، وفي حالته شتان ما بين الاثنين.

ويشكّل العنوان المُنتقى لهذا المعرض، أي "أعمال جديدة"، لاسيما بعد وضع عناوين لمعارضه السابقة من قبيل "هيك.. السهول" و"بيت في الحقول" مدخلا إلى منطق الأعمال الفنية المعروضة، والتي هي بالرغم من جماليتها تحيلنا إلى حيادية لا علاقة لها بسطوة اللون الأزرق في أعماله بعد أن كان لأخضر الأشجار والسهول المكانة الأولى في لوحاته، ولكن بسبب برودة، غير غريبة على شخصية الفنان وهدوءه المتّزن، جعلت من المشاهد المحبوبة لديه مختبرا لا تُسمع فيه لا اعتراضات السهول ولا امتعاض الطرقات من عزلها عن أسرارها. إنه عنوان، ولكنه ليس بعنوان، لأنه غير معنيّ بالمضمون بقدر ما هو معنيّ بالأسلوب.

ويبدو هذا المعرض ربما من أكثر المعارض وفاءا لشخصية الفنان الذي يعشق مدينته بعلبك بطريقة نادرة، فيصمّم بذهن صاف عشقه للأشياء ويقيس ويكيّل ربما عشقه للأشخاص أيضا كما يفعل صاحب عقل هندسي لا يتحد فيه تذوّق الجمال مع العاطفة تجاهه، أي تجاه الجمال، أو بفضله.

مدخل الفنان في لوحاته تلك هو مدخل إلى عالم "الأستتيك" من بابه العريض، إذ تبعثرت ماهية ما يُرسم تحت سلطة كيفية ما يرسم. وليس في هذا الكلام أية سلبية، ولربما يعتبر الكثير من الضالعين في الفن أن الرفاعي وصل إلى الاحترافية القصوى حيث الغاية تبرّر الوسيلة، أي حيث الشكل هو المُبتغى والموضوع هو الوسيلة.

ولعل أفضل طريقة للدخول إلى المعنى المقصود به آنفا، وربما تكون طريقة غريبة بعض الشيء (ولكن الغاية تبرّر الوسيلة)، هي وضع صور لوحات الفنان جنبا إلى جنب وبشكل عشوائي، ثم النظر إلى المجموعة نظرة شاملة غير معنية بالتفاصيل.

سيُكتشف الناظر إلى اللوحات الجديدة أن الفنان أصبح ساحرا بهلوانيا، وربما كان كذلك سابقا، ولكن ليس بهذا الشكل الواضح، حيث بات يُشقلب نظرته ويجعل لها في كل لوحة محطة حتى تصبح المجموعة الكاملة من الأعمال إن نظرنا إليها عن بعد وكأنها عقارب "دوّارة" لساعة جدار ملوّن، تدور في تخطيها لدورة كاملة يُختتم فيها مسار الزمن/ الساعات المُقاسة على عدد اللوحات/ الساعات التي كثّفها الفنان و"أحصاها": عشرون لوحة وعشرون ساعة.

معادلة جديدة

من الواضح جدا أن مازن الرفاعي قد انتقل في "مجموعته الجديدة"، أو لنقل في "معادلته الجديدة"، من التعبير الذي قوامه العاطفة والانشغال بشعرية أو النثرية الغنائية للمشهد المرسوم وما يمثل بالنسبة لقلبه، أي لقلب الفنان، (وقد كانت العاطفة جلية إلى أبعد حد في مجموعته الفنية التي رسم فيها سابقا بعلبك بالأسود والأبيض) انتقل إلى التشكيل شبه البحت الذي أصبحت فيه قماش اللوحة مُختبرا "علميا" عالي الجودة يتلذّذ فيه الفنان بتطعيم الأشكال بأشكال أخرى، و"توضيب" الأحجام والألوان مع بعضها البعض، وتشبيك الخطوط بخبرة مُعلم قادر على تعرية الأشكال من أية إسقاطات عاطفية وشعورية.

وتحضر عناصر أو تفاصيل لتذكّرنا بما كان يقدّمه الفنان في معارضه السابقة ومنها المداخن الخارجة من أعلى جدران المنازل المرسومة.

غابت الشفافية التي أقامها في مواضع عديدة من لوحاته السابقة وانحازت "الصوفية" التي نبضت في معرضه "بيت في الحقول" إلى التركيبية/ الإنشائية/ الاختزالية الموفقة.

وتحوّلت الخطوط البيضاء أو المساحات أو الشقوق الضيقة والعارية من الألوان التي كانت إمّا نورا في معارضه السابقة أو انسلاخا وتمزيقا "ميتافيزيقيا"، إذا صحّ التعبير، كما في معرض "هيك.. السهول"، إلى تصدّعات "غير مهمة" إلاّ شكليا، لتذكّرنا دائما أنها كانت حاضرة في سابق أعماله لتفصل بين مكان وآخر أو تشقه إلى طبقات لونية.

في لوحات الرفاعي الجديدة غاب الحزن وغاب الفرح وغابت المشاعر وبقي التشكيل الذي هو لبّ العمل الفني وفكرته

هذه الخطوط البيضاء اليوم غير حاضرة، إلاّ لجماليتها حتى أن المساحات السوداء أو الزرقاء الغامقة في لوحاته الجديدة لا تحيل إلى الظلام ولا بشكل من الأشكال، بل تحيل إلى ذاتها وإلى جمالها وجمال تموضعها وانضباطها في اللوحات.

وتأتي المساحات السوداء في لوحات الرفاعي الجديدة لتوصد أبواب الحنين والرغبة في العودة. وتؤكّد على أهمية الحضور في "شكلانية" اللحظة وخفتها وفي المكان/ الموطأ بعيدا عن فكرة الوقت واندثار الأمكنة.

ربما لأجل ذلك غاب الحزن وغاب الفرح وغابت المشاعر في معظم اللوحات المعروضة وبقي التشكيل الذي هو لبّ العمل الفني وفكرته.

هل من الممكن تصنيف أعمال الفنان مازن الرفاعي على أنها أعمال تجريدية؟

لا. مطلقا. لأن التجريد غنائية والتجريد إبحار في أثيرية الدنيا وإمعان في تظهير خزعبلات العالم المنظور. لوحاته تميل إلى التجريد فقط لكي تقصي المُشاهد عن عاطفيتها.

ومازن الرفاعي مهندس في العمارة الداخلية، درس الفنون الجميلة في ماسيراتا بإيطاليا والهندسة الداخلية في لبنان، وتأثّرت أعماله الفنية بدراسته تلك. شارك في العديد من المعارض الجماعية وله معارض فردية عديدة في لبنان وخارجه، لاسيما في العاصمة الفرنسية باريس.

بعلبك البقاعية بألوان أكريليكية طازجة

المصري أحمد عبدالكريم يحتفي بشجرة الجميز المعمّرة رسما ورمزا

القاهرة - يستمرّ حتى السابع والعشرين من نوفمبر الجاري بقاعة الباب/ سليم بساحة متحف الفن المصري الحديث بالأوبرا معرض الفنان المصري أحمد عبدالكريم الذي جاء تحت عنوان "شجرة الجميز".

وعن عبدالكريم وأسلوبه الفني قال خالد سرور رئيس قطاع الفنون التشكيلية بمصر "يتميّز أسلوب أحمد عبدالكريم بالتنويع والثراء (...) وتُعدّ تجربته الفنية دليلا واضحا على ما يتمتّع به من قدرات رائعة على صياغة أفكاره إبداعا عذبا، سلسا، قادرا على إثبات البُعد الثقافي والبيئي، دلاليا وبصريا من خلال توظيف الرمز كأيقونات رئيسية في اللوحة لديه، ووسيلة لإثارة عين وعقل المتلقي وجذبها لرموز يألفها وجدانه وتمتد لتتلاقى مع جذوره الحضارية".

ويضيف "عند هذه النقطة يستحضر الفنان قدرته الإبداعية على دفعه إلى الحوار مع العمل بكل مفرداته التعبيرية التي نسجها معا بطابع رومانسي جمالي غير تصادمي مع المشاعر أو الأفكار".

وحول فلسفة ومضمون المعرض قال الفنان أحمد عبدالكريم "شجرة الجميز كانت من بين أهم الأشجار التي تناولها الفنان المصري القديم من عدة محاور حياتية ودينية وطبية وفنية، فاعتبرها شجرة الأرواح على الأرض ومنها نشأت أسطورة نشأة الكون".

ويسترسل "يقول الأكاديمي المصري وائل سليمان في إحدى دراساته إن المصري القديم اعتقد أن شجرة الجميز المُعمّرة هي الشجرة الأم، والتي تثمر أوراقها أرواح البشر ويحرسها الإله تحوت إله الحكمة والكتابة، وقد اتخذت من هذه الجميزة وأسطورتها في التراث المصري القديم والحكاوى الريفية الشعبية منطلقا جماليا لمعرضي الجديد من خلال الصياغات البصرية التي تعتمد على حرية التقنية والخيال".

وتتميّز أعمال عبدالكريم بأنها متصالحة مع البيئة من حيث التشابك الموضوعي بين عناصر العمل والمدلول الذي يقدّمه من خلال تلك العناصر، ولا يختلف هذا الأمر كثيرا بين اللوحات التي يعتمد فيها أسلوب التصوير التشكيلي والأعمال ثلاثية الأبعاد التي تنتمي إلى الاتجاه المفاهيمي أو تكوينات الأعمال الفنية المركبة، ففي كل الحالات تذهب أعمال الفنان المصري نحو البيئة لتستمدّ منها موضوعاتها التي هي بالضرورة اجترار لقضايا اجتماعية موجودة في الواقع المصري المعيش.

كما لا يفوّت عبدالكريم أي فرصة لاستحضار روح التراث المصري القديم مستدعيا رموز هذا الفن مثل الملكة حتشبسوت ورمسيس الثاني ونفرتيتي وإخناتون ورع حتب، كل هؤلاء الملوك يترجم الفنان عقيدتهم ما بعد الوفاة وعقيدة الخلود، وهي معالجة جديدة بألوان معاصرة وطرح جمالي حديث.

ويستخدم التشكيلي المخضرم من جهة أخرى خامات الألياف النباتية الخشنة والبكر، مستمدا من طاقاتها السحرية الفرعونية التأثير الأسطوري والإيكولوجي في آن واحد، فالمواد هشة متآكلة مجفّفة أو محنطة متهالكة الأهداب رثة الخيوط تتموضع في الفراغ التشكيلي وكأنها مخطوطة غامضة منتزعة من عالم الأبدية الذي يسيطر على هواجس المدافن المصرية ورسومها الشمعية.

وفي شتى هذه الحالات يبدو عبدالكريم ملونا مرهفا يرتشف رحيق المقامات اللونية النخبوية المنتزعة من فريسكات مصر القديمة، والألوان الشعبية البريئة التي تُزغرد بفراديس فرحة، وجنائن مصبوغة بألوان الأعراس والفرح الدائم. لوحاته ألوان من الحنة والقرميد والشمع متناغمة مع زرقة نهر النيل والسماء، وخضرة النخيل المطوّقة لضفافه، ومراكب صيد ذات أشرعة بيضاء، وقباب ريفية بيضاء أيضا ذات مناظر زخرفية متراكبة السطوح.

وهو في ذلك يقترح على المتلقي عبر خياله الجامح عالما مغتبطا يستمدّ عناصره من سكينة الريف، وبالتالي فهو يعمل بالعين والذاكرة في آن معا من خلال توازن دقيق بين مفهوم الفن الشعبي البكر والفن النخبوي المثقف، لذا تبدو ألوانه وعناصره في حال تطريب دائم، تصدح بسعادة ضوئية وتهشيرات قزحية حلمية تتعشّق خاماته وملامس سطوحه التأملية العميقة.

وعنه يقول الفنان والباحث والناقد السوري أسعد عرابي "لا شك أن تربية خيال عبدالكريم الطفولي في ربوع الصعيد والمنيا أثّرت في الحفاظ على مشاهده الريفية، وهذا ما يفسّر استعاراته من الميثولوجيا الفرعونية التي درج على تأمّلها في معابد أبي سنبل ووادي الملوك والمدافن المنتشرة في كل مكان من هذه السطوح، مُستعيدا المفردات الهيروغليفية التصويرية من مثال حصانه المؤسلب وشكل المومياء المنمطة والمحنطة، وعنصر النخيل ونصف مفتاح الأبدية وطائر حورس ونجمة السماء والهدهد ومراكب الشمس.. إلخ".

أحمد عبدالكريم

شجرة الجميز لها في الحضارة الفرعونية أبعاد دينية وطبية وفنية

ويعتبر فن عبدالكريم فنا مركّبا يعكس اتصاله بالريف الذي عاش وفي كنفه، مستمدا منه نسخ مواده والأسطورة الفرعونية، كما انعكست دراساته للرقش في الفن الإسلامي من خلال بنائه الذرى الكتابي المتعامد مع شبكة الأرضية المحفورة بالأختام والوحدات والمفردات التشكيلية المهندسة.

والفنان أحمد عبدالكريم حاصل على بكالوريوس من كلية التربية الفنية جامعة حلوان في العام 1980 وماجستير التربية الفنية عن دراسة بعنوان "النظم الإيقاعية في الفن الإسلامي الهندسي" بالجامعة ذاتها في العام 1985، كما حصل على دكتوراه الفلسفة في التربية الفنية بكلية التربية الفنية جامعة حلوان بعنوان "تحليل محتوى نظم الزخارف الهندسية الإسلامية" سنة 1990.

وأقام الفنان التشكيلي عددا من المعارض الخاصة منها معرض عام 1983 بعنوان "معماريات وجدانية" بأتيلييه القاهرة، ومعرض عام 1987 بعنوان "المثلث الأبيض" بالقاعة المستديرة بنقابة الفنانين التشكيليين ومعرض عام 1989 بعنوان "حبر أسود على ورق أبيض" بقاعة إخناتون بمجمع الفنون بالزمالك.

شجرة الأرواح على الأرض